

الفتنة الكبرى

اطلعت على الكلمة التي نشرت في هذا العدد تعليقاً على مقال لي عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته أثرت أن لا أضيع على قراء الرسالة صفحات في نقد كلام الدكتور شوقي ضيف ، فعجلت بكتابة هذه الكلمة .

وليأذن لي الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقي ضيف ، في بعض ما جاء في رده عليّ .

فأول ذلك أن الدكتور شوقي قد أطال في كلام أكثره موجود في كتاب الدكتور طه . كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا في غنى عن مثل هذا الشرح . والثانية أنه أطال أيضًا في الأسباب الموجبة لنفى قصة عبد الله بن سبأ ، ونحن لم نقل أننا نثبتها برواية الطبري وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب المذكورة في مقالى ولم يتنبه الدكتور شوقي إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتى فيما بعد بطريق آخر غير الذى ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً في شأن تفسير الطبري وتاريخه ، وهو أن الطبري روى في تاريخه أشياء عن رجال ليسوا بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك في تفسيره لمكانهم من التهمة في رأيه . وشرح ذلك أن للطبري رأياً في قوم ليسوا بثقات ، فزعه التفسير عنهم لأنه أمر دين تجب فيه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لمثل هذه الحيطة فيه مكان . وموازن المحدثين والمفسرين في رد الرجال وتجريحهم لا يمكن أن تطبق على أهل التاريخ وسواهم من أدباء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، وأظن أن

الدكتور ضيف لم يعط هذا الأمر حقه من النظر والتدبر . ولست فيما أظن أيضًا مكلفًا بشرح أصول هذه الفنون لكل امرئ لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة، إلا أن يسأل سؤالًا منزهاً عن مواضع اللجاجة في الانتصار لفلان أو فلان .

والرابعة أنه تسرع في ذكر أشياء نغفيه من نقدها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضًا . ولكنني على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع الغمز فيها .

ومهما يكن من شيء ، فإنني كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتممه بعد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلاً لرأى ما يرضيه أو يقنعه . أما العجلة فلا تأتيه بشيء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لتراكمها بعضها على بعض .

وليعدرنى الأستاذ إذا رأى أنى لم أبين له البيان الشافى فى مسألة الرواية فى التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغى أن ينظر إليه الباحث مرة ، ويتجاوز عنه أخرى فى هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتحرّاه على وجهه ، فليسأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدلّه على المصادر التى تعينه على بيانها إن شاء الله ...